أولى في نظري وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون .

65 .

- أي بالذي استمروا على كسبه في الدنيا وكأن الجار والمجرور قد تنازع في تكلم وتشهد ولعل المعنى وا تعالى أعلم تكلمنا أيديهم بالذي استمروا على عمله ولم يتوبوا عنه وتخبرنا به وتقول أنهم فعلوا بنا وبواسطتنا كذا وكذا وتشهد عليهم أرجلهم بذلك .

ونسبة التكليم إلى الأيدي دون الشهادة لمزيد اختصاصها بمباشرة الأعمال حتى أنها كثر نسبة العمل إليها بطريق الفاعلية كما في قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله سبحانه وما عملت أيديهم وقوله D بما كسبت أيدي الناس وقوله جل وعلا فبما كسبت أيديكم إلى غير ذلك ولا كذلك إلا رجل فكانت الشهادة أنسب بها لما أنها لم تضف إليها الأعمال فكانت كالأجنبية وكان التكليم أنسب بالأيدي لكثرة مباشرتها الأعمال وإضافتها إليها فكأنها هي العاملة هذا مع ما في جمع التكليم مع الختم على الأفواه المراد منه المنع مع التكلم من الحسن .

وكأنه سبحانه لما صدر آية النور وهي قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالشهادة وذكر جل وعلا الأعضاء من الأعالي إلى الأسافل أسندها إلى الجميع ولم يخص سبحانه الأيدي بالتكليم لوقوعها بين الشهود مع أن ما يصدر منها شهادة أيضا في الحقيقة فإن كونها عاملة ليس على الحقيقة بل هي آلة والعامل هو الإنسان حقيقة وكان اعتبار الشهادة من المصدر هناك أوفق بالمقام لسبق قصة الإفك وما يتعلق بها ولذا نص فيها على الألسنة ولم ينص ههنا عليها بل الآية ساكتة عن الإفصاح من الشهادة وعدمها والختم على الأفواه ليس بعدم شهادتها إذ المراد منه منع المحدث عنهم عن التكلم بألسنتهم وهو أمر وراء تكلم الألسنة أنفسها وشهادتها بأن يجعل فيها علم وإرادة وقدرة على التكلم فتتكلم هي وتشهد بما تشهد وأصحابها مختوم على أفواههم لا يتكلمون .

ومنه يعلم أن آية النور ليس فيها ما هو نص في عدم الختم على الأفواه نعم الظاهر هناك أن لا ختم وهنا أن لا شهادة من الألسنة وعلى هذا الظاهر يجوز أن يكون المحدث عنه في الآيتين واحدا بأن يختم على أفواههم وتنطق أيديهم وأرجلهم أولا ثم يرفع الختم وتشهد ألسنتهم أما مع تجدد ما يكون من الأيدي والأرجل أو مع عدمه والإكتفاء بما كان قبل منهما وذلك إما في مقام واحد من مقامات يوم القيامة أو في مقامين وليس في كل من الآيتين ما يدل على الحصر ونفي شهادة غير ما ذكر من الأعضاء فلا منافاة بينهما وبين قوله تعالى حتى

إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فيجوز أن يكون هناك شهادة السمع والإبصار والألسنة والأيدي والأرجل وسائر الأعضاء كما يشعر بهذا ظاهر قوله تعالى والجلود في آية السجدة لكن لم يذكر بعض من ذلك في بعض من الآيات اكتفاء بذكره في البعض الآخر منها أو دلالته عليه بوجه ويجوز أن يكون المحدث عنه في كل طائفة من الناس وقد جعل بعضهم المحدث عنه في آية السجدة قوم ثمود وحمل أعداء ا عليهم بقوله تعالى بعد وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس ولا يبعد أن يكون المحدث عنه في آية النور أصحاب الإفك من المنافقين والذين يرمون المحصنات ثم إن آية السجدة ظاهرة في أن الشهادة عند المجيء إلى النار وآية النور ليس فيها ما يدل على ذلك وأما هذه الآية فيشعر كلام البعض بأن الختم والشهادة فيها بعد خطاب المحدث عنهم بقوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون فيكون ذلك عند المجيء إلى النار أيضا قال في إرشاد العقل السليم : إن قوله تعالى اليوم نختم الخ التفات إلى الغيبة للإيذان بأن ذكر أحوالهم القبيحة استدعي أن يعرض عنهم وتحكي أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الإيمان إلى أن